عملاق الفكر الإسلامي

(الشهيد سيد قطب)

صفحة مفقودة

صفحة مفقودة

صفحة مفقودة

صفحة مفقودة

وفي شهر آب سنة (١٩٦٥م) وهو نفس الشهر الذي اعتقل فيه أرسل إليه المباحث واحداً فتسور الدار ودخل ليفتش، فأمسكه وأنبه وأدبه، وقال: (إن للبيوت حرمات، ألا تعرف أدب الدخول؟ ثم كتب كتاباً وأرسله إلى مدير المباحث وقال: (أرسل إليّ بشراً ولا ترسل كلاباً)، ثم ذهب الى قسم المباحث، وقال: (جئتكم حتى تعتقلوني).

٣- كرمه وسخاؤه.

وهذه صفة تقترن مع الشجاعة غالباً، فحيثما وجدت صفاء النفس وسخاءها وجدت الجرأة والشجاعة، فالنفس الأبية التي تجود بروحها يرخص عليها المال ومتاع الحياة، ولقد كان سيد ينفق كل ما يأتيه ولا يدخر شيئاً، وكان لكثير من نزلاء ليمان طرة في أمواله شيء معلوم، حتى من المجرمين، ومن السجانين، ولقد كان يشفق على حالة السجانين الأسرية، وضيق ذات يدهم فيرثي لحالهم ويخفف من كربهم وضنكهم وبأسائهم.

ولقد ملك مضاؤه وسخاؤه هذا قلوب عارفيه، وأصبح بكرمه الأسر هو المدير الفعلي لسجن ليمان طره، حتى كان الحلواني -مدير السجن- يقول: إن المدير الفعلي للسجن هو سيد قطب، واقرأ إن شئت رسالته الصغيرة (أفراح الروح) وكيف كان يفجر ينابيع فطرة الخير في قلوب المجرمين، وفي هذه الرسالة زاد كبير للعاملين من الدعاة.

ولذا فقد مضى إلى ربه وهو لا يملك متراً واحداً فوق هذه الغبراء (فهو بصدقه وفيّ العهود، وبكرمه أسر القلوب، وبتواضعه ألف بين الجنود، وبشجاعته وصلابته قاد الجموع).

٤- تواضعه.

وهذا سمت الصالحين (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين)، وبالقدر الذي كان يستعلي به على الطغاة كان يتواضع ويتطامن للمؤمنين من تلامذته، فترى أحدهم يشير عليه أن يحذف فقرة من مسودة التفسير أو يصحح عبارة فيستجيب.

٥- حبه ووفاؤه وعاطفته الفياضة.

وأما عاطفته الجياشة فلقد أفاضت من روحه على أسرته جميعاً، وتراه لهذا الوفاء لا يتزوج قبل محنته ليرعى الأسرة التي أصبح راعيها بعد أبيه، يقول الأستاذ محمد قطب عن أخيه سيد: (هو أبي وأخي وأستاذي وصديقي).

كان سنة (١٩٥٣م) في ضيافة المؤتمر الإسلامي في القدس، وقد كان الإخوان آنذاك يشرفون عليه، يقول فضيلة المراقب العام للإخوان في الأردن -الأستاذ محمد خليفة-: كان الأستاذ سيد يطلب مني أن أطلب القاهرة -هذا من عمان- فأقول له: هل طرأت لك حاجة؟ فيقول: لا، وإنما هو الشوق لسماع صوت الوالد المرشد العام الهضيبي ولو من خلال الهاتف.

وكثيراً ما كان يردد كلمة الوالد المرشد في التحقيق وفي المحكمة، ولم يقتصر وفاء الأستاذ سيد على صلته بالبشر بل تعداه إلى علاقته بكل ما حوله حتى للحيوانات، فلقد ألِفَ نزلاء ليمان طرة قطاً أعور تتقزز الأبدان لرؤيته، كان يأوي بالقرب من الأستاذ سيدقطب يخصص له قسماً من طعامه، وكان يقول: (ليس من الوفاء أن نجافيه ونضيعه في هرمه بعد طول صحبته لنا)، وهو بوفائه يعيد إلى ذاكرتنا سيرة الرعيل الأول كأبي هريرة، ويفتح أمام ناظرينا صورة زيد بن الدثنة وهو يقول: (والله لا أحب أن أكون سالماً في أهلي ويصاب محمد صلى الله عليه وسلم شوكة في قدمه)، وذلك وهو يرد على أبي سفيان عندما سأله: أتحب أن محمداً مكانك نعلقه على خشبة الصلب والإعدام، فقال أبو سفيان: (ما رأيت مثل حب أصحاب محمد محمداً).

أقول: هذه النماذج التي أقفرت الارض منها إلا القليل القليل، والتي عقمت الدنيا أن تلد أمثالها، عاد جنود البنا يجددون سيرة هذا النفر الكريم، هؤلاء أحيوا الأمل في قلوب مئات الملايين، وأثبتوا للدنيا أن الإسلام لا زال قادراً على صناعة الرجال.

يقول الأستاذ سيد قطب لشقيقته حميدة: (إن رأيت الوالد المرشد -وهذا قبل إعدامه بيوم- فبلغيه عني السلام وقولي له: لقد تحمل سيد أقصى ما يتحمله البشر حتى لا تمس بأدنى سوء.)

سيرة سيد قطب الحركية:

دخل الأستاذ سيد دعوة الإخوان المسلمين سنة (١٩٥١م)، وكان يعبر عن هذا بأعمق تعبير قائلاً: ولدت سنة (١٩٥١م)، وقد جاء سيد على قدر، ولكل أجل كتاب، فلم يحفل سيد بالدعوة في بداية الأمر، ولم يكن يعني نفسه للقاء بقائدها البنا الذي ضم الأفذاذ

من أبناء مصر تحت جناحيه وبين صفوفه، فكانت دعوته صفوة أبناء مصر.

وقد ابتدأ سيد قطب يتجه نحو الكتابة عن الإسلام العام، ولم يكن سيد بعد قد أدرك بُعد أعماق هذا الدين، ولم يسبر أغ بمسبار، وكتب كتاب العدالة الاجتماعية مستعرضاً نظام الحكم والمال، وتركه مع إهداء جميل: (إلى الذين كنت المحهم بعين ال قادمين، فرأيتهم بواقع الحياة قائمين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم في مستقبل قريب جد قريب)، ثم عهد إلى أخيه محمد في : لطباعته، وطبعه الأستاذ محمد مع هذا الإهداء، على حين كانت الحكومة قد نكلت بالإخوان وأودعتهم المعتقلات تمهيداً لاغتيال ا الشهيد البنا، وظنت الحكومة أن سيد قطب هو أحد أعضاء الإخوان، وأن الكتاب مهدى إلى شباب الإخوان، فصادرت الحكومة ال ولم تسمح بنشره إلا برفع الإهداء، فرفع الإهداء.

ويحدث الأستاذ سيد عن نفسه وهو في طريقه إلى أمريكا مبعوثاً من وزارة المعارف المصرية التي يستلم وزارتها طه حـ -أستاذه-، فأرسل الأستاذ سيد للاطلاع على المناهج الأمريكية، يقول الأستاذ سيد: (كنا ستة نفر من المنتسبين إلى الإسلام ظهر سفينة مصرية تمخر بنا عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك[1]) فهو يعتبر نفسه آنذاك منتسباً إلى الإسلام.

ويشاء الله عز وجل أن يهديه سواء السبيل، وأن يريه آياته ليجعله جندياً مخلصاً في صف الدعوة الإسلامية، وتحدث حادثتان تضطرانه للدخول تحت جناح الدعوة.

أما الحادثة الأولى: فقد حصلت في (١٣) شباط (١٩٤٩م)، يقول فيها أنه كان مستلقيا فوق سريره في إحدى مستشف أمريكا، فيرى معالم الزينة وأنوار الكهرباء الملونة وألوان الموسيقى الغربية والرقصات، ما هذا العيد الذي أنتم فيه؟ فقالوا: اليوم عدو النصرانية في الشرق، اليوم قتل حسن البنا، وقد كانت هذه الحادثة كفيلة أن تهزه من أعماقه، حسن البنا!! يحتفل بمقتله داخل أمريكا، إذن لا بد أن يكون الرجل مخلصاً، وأن تكون دعوته خطيرة حقاً، ترجف لسماعها أوصال الغرب هلعاً واضطراباً.

وأما الحادثة الثانية: فقد حصلت في بيت مدير المخابرات البريطاني في أمريكا، إذ كانت السفارات الغربية تتسابق في شباكها لاصطياد الطلاب الشرقيين وإيقاعهم بحبائلها ليكرسوا في محافلها المختلفة، ويقسموا العهد على خدمتها وإنذار ال خالصة لخدمتها، وأي صيد أثمن من الكاتب المعروف سيد؟ فدعاه مدير المخابرات البريطاني إلى بيته، يقول الأستاذ سيد: (واستر انتباهي أمران: الأول: إن هذا البريطاني يسمي أبناءه بأسماء المسلمين، محمد وعلي وأحمد.... والثاني: وجدت لديه كتاب الع الاجتماعية، وهو يعمل في ترجمته، وهي النسخة الثانية في أمريكا، إذ الأولى لدي وصلتني من أخي محمد قطب).

وبدأ الحديث عن أحوال الشرق وما ينتظره من مستقبل وأحداث، ويعرج على مصر ليستفيض في الحديث عنها، وتأخذ جه الإخوان المسلمين القسط الوافر من الحديث، ويعرض علي تقارير مفصلة عن نشاط الجماعة وعن تحركات البنا وخطبه منذ أن ك الجماعة ستة في الإسماعيلية حتى سنة (١٩٤٩م)، تفصيلات تؤكد أنهم قد سخروا أجهزة وأموال تتبع نشاط الإخوان وحركا وسكناتهم، ورصدوا لذلك أموالاً ورجالاً خوفاً من هذا الغول البشع -الإسلام-، وعقب البريطاني قائلاً: (إذا قدر ونجحت حـ الإخوان في استلام حكم مصر فلن تتقدم مصر أبداً، وسيحولون بعقليتهم المتخلفة بين الحضارة الغربية، وستقف عقلياتهم المتح دون تطور الشعب والأرض، ثم قال: ونحن نأمل من الشباب المتعلمين أمثالك ألا يمكنوا هؤلاء من الوصول إلى سدة الحكم).

يقول سيد: قلت في نفسي (الآن حصحص الحق) وأيقنت أن هذه الجماعة على الحق المبين، ولم يبق لي عذر عند الله إن لم أنت فهذه أمريكا ترقص على جمجمة البنا، وهذه بريطانيا تسخر أجهزتها وأقلام مخابراتها -حتى داخل أمريكا- لمحاربة الإخوان.

يقول سيد: فصممت في قرارة نفسي أن أدخل الإخوان وأنا لم أخرج بعد من بيت مدير المخابرات البريطاني.

وكانت يد الله تعد لتهيئة الأجواء حتى يدخل سيد قطب دعوة الإخوان، فهناك في مصر وزع كتاب (العدالة الاجتماع والإخوان مودعون لدى معتقلات الطور وغيرها تحاربهم زبانية فاروق، وإهداء الكتاب يوحي أنه مهدى إلى الإخوان، فظنه الإخ منهم وأن الإهداء موجه إليهم، فأقبلوا على العدالة يتداولونها ويقرأونها.

وهنا في أمريكا الحادثة تلو الحادثة تقنع سيداً بصدق دعوة الموتيرامى إلى مسامع الإخوان تاريخ مقدم سيد إلى مصر، فـ الدعوة كوكبة من شباب جماعة القاهرة لاستقباله في ميناء الإسكندرية مثل عبد العزيز سيسي رحمه الله

---

[1] . في ظلال القرآن عند تفسير آية (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) (يونس ٣٧)، أنظر طبعة الشروق (١١/١٧٨٦)

فيعجب الأستاذ سيد بتربية الإخوان وأدبهم الجم وخلقهم الرفيع، وبمجرد أن وطئت قدماه أرض مصر اتصل بالأستاذ الهضيبي المرشد وعرض عليه أن يقبله جندياً في صف دعوة الإسلام، فيرحب به الأستاذ الهضيبي، ويبدأ الأستاذ سيد منذ تلك اللحظة جهاده المنظم المركز، وقد كان صادقاً منذ اللحظة الأولى، وتعبيراً عن جده في الأمر قدم استقالته إلى وزارة المعارف وأعلن مفاصلته لطه حسين.

وقد سلمه الأستاذ الهضيبي بعد فترة رئاسة تحرير جريدة (الإخوان المسلمون)، وكتب بها مقالات صدرت فيما بعد في كتاب أسماه (دراسات إسلامية)، ثم قامت الثورة سنة (١٩٥٢م)، وكان للإخوان اليد الطولى في إنجاح الثورة وتهدئة الأوضاع. إن الذي أجبر الملك فاروق على التوقيع على وثيقة التنازل هو الضابط عبد المنعم عبد الرؤوف أحد أفراد الدعوة المخلصين في قصر المنتزه في الإسكندرية، ووزع الإخوان عشرة آلاف مسلح في القاهرة وحدها لحماية الثورة، ولقد كتب فاروق في مذكراته: (إن الإخوان المسلمين هم الذين قلبوا عرشي)، (وما كان ضباط الثورة إلاّ العوبة بأيديهم، ولقد أراد الإخوان المسلمون ضربي في عرض البحر لولا أني أمرت ربان السفينة أن يغير اتجاهها)[١].

أقول بعد الثورة طلب مجلس الثورة من الأستاذ سيد أن يكون مستشارهم للشؤون الداخلية فقبل، ولكن لم يستطع العمل معهم أكثر من ثلاثة أشهر، وثلاثة أشهر أخرى على مضض وبفتور. ثم تركهم لأن طبيعته لا تقبل الالتواء والتثني.

سجنه الطويل:

لقد بدأت سلسلة المحن تتوالى على الدعوة وعلى كبار رجالاتها، والحق أن سيداً من بين النفر القليل الذين أعطوا الدعوة أوقاتهم وحياتهم ودماءهم وأموالهم، ولم يروا من إقبال الدنيا على الدعوة شيئاً. فقد أقبل عليها ودنياها في إدبار، ورحم الله خباب بن الأرت إذ يقول: (هاجرنا مع رسول الله ﷺ في سبيل الله نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله.. فمنا من مضى ولم يأكل من أجره في دنياه شيئاً، منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد فلم يوجد له شيء يكفن فيه)[٢].

وفي سنة (١٩٥٤م) وبعد تمثيل فصول مسرحية الرصاصات على الطاغوت عبدالناصر في منشية البكري في الإسكندرية، بدأت اعتقالات الإخوان، وغيبت السجون المظلمة وراء جدرانها آلاف الشباب، ولم يكن سيد لينجو. إذ كان رئيساً لقسم نشر الدعوة آنذاك، وكان من المفروض أن يكون سابع السبعة الذين علقوا على الأعواد شنقاً(وهم الشهداء: عبدالقادر عودة، محمد فرغلي، يوسف طلعت، إبراهيم الطيب، هنداوي دوير، محمود عبد اللطيف).

إلا أن إرادة الله أخرت شهادته ليكتب الظلال والمعالم، وخصائص التصور الإسلامي، فلقد أصيب سيد قطب من جراء التعذيب الشديد بنزيف في الرئة، مما اضطرهم إلى نقله إلى المستشفى، ونُفذ الإعدام وهو في المستشفى، وثارت ثائرة الشعوب المسلمة، وعبرت عن سُخطها بتظاهرات احتشدت أمام السفارات في الدول العربية والإسلامية، وأحرقت بعض الأماكن. وانهال سيل البرقيات الساخطة من المسلمين في كل مكان، تكيل اللعنات وتنذر بالثبور والويل للقتلة ومصاصي الدماء.

وصدر وعد من القصر الجمهوري ألاّ يحدث إعدام فيما بعد، وجاءت محاكمة سيد قطب في الحلقة الثانية، وكانت المحاكمة مفتوحة ويرأس محكمة الشعب فيها جمال سالم وحوله عضوان حسين الشافعي وأنور السادات، ولقد أبدى سيد قطب جرأة نادرة أمام ما يسمون بالقضاة، فلقد خلع قميصه أمام المحكمة وقال بسخرية: أنظروا يا قضاة العدالة!! ثم قال: نحن نريد أن نسأل: أينا أحق بالمحاكمة والسجن: نحن أم انتم؟ إن لدينا وثائق أنكم عملاء للمخابرات الأمريكية، وبدأ يسرد الوقائع والوثائق التي تصمهم بالخزي، وتسمهم بالصلات المشبوهة بكافري -السفير الأمريكي آنذاك-. مما اضطر جمال سالم أن يرفع الجلسة ويغلق المحاكمة.

وصدر الحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة، وبعد فترة ولأسباب صحية خُفف الحكم إلى خمسة عشر عاماً.

وأودع سيد قطب ليمان طرّه (السجن الذي يضم المئات من شباب الإخوان)، ولقد شهد بأم عينيه مذبحة الإخوان في ليمان طره عندما فتحت الحكومة الرشاشات على الإخوان، حيث قتل من عنبر واحد واحد وعشرون من شباب الإخوان، والتصقت لحومهم بالحائط، ومن شاء الاستزادة فليقرأ كتاب (أقسمت أن أروي لروكس معكرون).

كان سيد قطب مصاباً بالتهاب في الشعب الهوائية. فوضع في مصحة السجن (مستشفى صغير للسجن مع المصابين

---

١ أنظر فاروق بين القمة والحضيض. ٢- رجال حول الرسول ص(٤٠٢)

بالأمراض الصدرية كالسُّل من المجرمين المسجونين) واستأذن من إدارة السجن أن يضع حواجز من القماش بينه وبين المرضى، فأذن له، فوضع حواجز من القماش المقوى، فأصبح كأنه في غرفة مستقلة، وألحق به داخل الحواجز القماشية محمد يوسف هواش، وكانت هذه جريمة لهواش استحق عليها الإعدام سنة (١٩٦٦م).

وبقي الأستاذ سيد صابراً محتسباً في سجنه يربي إخوانه من حوله بالصدق، ويفيض عليهم من روحه المشرقة، ويضمهم في حنايا قلبه الكبير، وكان يرد على الذين يحاولونه المهادنة والاستسلام: (إن في صبرنا صبر للكثيرين)، وهي نفس كلمة الإمام أحمد بن حنبل.

وساءت حالته الصحية في السجن، وأصيب بالذبحة الصدرية، وأصبح جسده الناحل يحمل في طياته قائمة من الأمراض، وهو مُصرّ على البقاء في السجن، وكانت الذبحة تصيبه مرتين في الأسبوع (الذبحة تشبه الجلطة).

وقدم الأطباء المشرفون على صحته تقارير لعبد الناصر ونصحوه قائلين: إن كان يهمك ألاّ يموت هذا الرجل في السجن فأخرجه لأنه معرض للموت في كل لحظة، وماطل عبد الناصر، ولقد تدخل المرحوم أحمد أوبلو -رئيس وزراء نيجيريا الشمالية الذي أسلم على يديه ستمائة ألف مسلم- لإخراجه من السجن أثناء مروره بالقاهرة قبل قتله بفترة وجيزة، فكذبوا على أحمد أوبلو متظاهرين بإخراجه، فنقلوه إلى مستشفى القصر العيني(جامعة القاهرة)، وكانت حالته الصحية تستدعي هذا النقل، لأن مصحة السجن بعلاجاتها وأدواتها البسيطة لم تعد تكفي لعلاج أمراضه.

ومكث في القصر العيني ستة أشهر وأعيد إلى مصحة ليمان طرة، وفي نيسان سنة (١٩٦٤م) أقيمت الاحتفالات بمناسبة الانتهاء من المرحلة الأولى للسد العالي، واستضافت مصر خريتشوف لمشاهدة الاحتفالات، وأخرج الشيوعيون من السجون تحية لخريتشوف، وكان عبد السلام عارف من بين الذين دُعوا للمشاركة في الاحتفال، وتلقى عبد السلام عارف برقية من مفتيّ العراق الشيخ أمجد الزهاوي يقول فيها: (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها، فاشفع بسيد) فتوسط عبد السلام لإخراجه، فأخرج الأستاذ سيد من السجن في سنة (١٩٦٤م)، ولقد عرض عليه عبد السلام أن يصحبه إلى العراق ويكون مستشاره، ولكن الأستاذ سيد استماحه عذراً، متعللاً بصحته التي تشرف على الرحيل وتؤذن بالوداع، ولكن السبب الحقيقي وراء اعتذاره هو الذي وضّحه قائلاً:(إننا بإسنادنا ولو بالآراء لوضع جاهلي، فإننا نحكم بالإعدام على كل كتاباتنا ضد الطواغيت، وتصبح كلمتنا حبراً على أوراق)

والحقيقة أن عبد الناصر ما وافق على إخراجه إلاّ بعد تيقُّنه أن سيد قطب قد استُهلك وأضحى حطام إنسان ليس لديه طاقة على حركة أو تجميع.

ولكن الروح هي التي تعمل، فلقد كان الأستاذ سيد قد أعد مسودات المعالم وبدأ بمراجعتها، ثم دفع بها إلى المطبعة، وخرج المعالم لتنفذ الطبعة الأولى التي أصدرتها مكتبه وهبة في وقت جد قصير، مما أدهش المخابرات المصرية، وتحرك الشيوعيون الذين قرأوا كلمات المعالم كلمة كلمة، وأيقنوا أن هذا سيعصف بتنظيمهم الذي تقوى في فترة غياب الشباب المسلم في غياهب السجون، وأجج الشيوعيون نار الحقد والبغضاء التي ما هدأ أوارها لحظة في قلب عبد الناصر.

جاء أحد الناس إلى الأستاذ محمد قطب وأخبره بأن الشيوعيين جادّون في محاولة قتلك وقتل أخيك سيد قطب.

ويرى الأستاذ سيد في منامه أفعى حمراء تلتف حول عنقه، فحدث بها جلساءه فقالوا أضغاث أحلام، فقال: ولكني أظنها المشنقة التي يُمسك بها الشيوعيون.

وحاولت الحكومة أولاً أن تقضي على الظاهرين من الدعاة باغتيالات فردية، وابتدأت المحاولة بالحاجة المجاهدة (زينب الغزالي) إذ داهمت سيارة كبيرة للمخابرات أو بإيعاز منها سيارتها وكسرت رجلها، ومكثت على أثرها عاماً كاملاً في المستشفى، وانتشر الخبر بأن المخابرات جادة في قتل سيد قطب، وزينب الغزالي، ومحمد قطب، ومحمد هواش، فنكلت المخابرات عن خطتها، وأقبل صيف (١٩٦٥م) الذي يحمل بين جوانحه ما تخبئه الأقدار للدعوة الإسلامية من اعتقال وتشريد وإعدام بتنفيذ المخططات التي ترسم بروتوكولاتها في الكرملين والقصر الأبيض لتنفذ من خلال المخالب في المشرق.

واعتقل سيد قطب في (٢٦/أب/١٩٦٥م)، وأودع السجن الحربي بعد أن انتقل من سجن إلى سجن، وانتهى به المقام في الحربي، وفي أوائل اعتقاله ألقي في زنزانة مظلمة بين أربعة كلاب بوليسية وظيفتها إرهاب السجناء بالإضافة إلى انتهاش لحومهم

وتقطيعها فور تلقيها أية إشارة من الكلاب البشرية.

وأسندت تهمة الخيانة العظمى له بترؤس تنظيم إرهابي يدعو إلى قلب نظام الحكم بالقوة. وهذه حقيقة وكلمة حق أريد بها باطل، فصاحب الحق يدعو لانتصار دينه وتطبيق الإسلام في كل مجالات الحياة، ولا يهادن ولا يداهن ولا يتنازل عن هذا الحق الذي يطالب به.

نعم لقد عهد إليه فضيلة المرشد بقيادة تنظيم سنة (١٩٦٢م)، وأطاع الأمر، إذ أنه يعرف معنى الطاعة في الإسلام، وأن طاعة الأمير فريضة في الأعناق، ومعصيته إثم يستحق صاحبه العقاب، فقبل وأشرف على تربية أفراده بكتاباته وهو في داخل السجن، ثم أشرف بنفسه ووهب التنظيم حياته، وروحه، ووقته، وفكره، هذا التنظيم الذي يشير إليه في مقدمة المعالم بأنه طليعة البعث الإسلامي، وهو يعتقد تماماً أن صلاح البشرية وسعادتها وراحتها متوقفة على نجاح الحركة الإسلامية كما يقول في مقدمة الظلال ص(١٥) -دار الشروق-: (وانتهيت من فترة الحياة في ظلال القرآن إلى يقين جازم حازم... أنه لا صلاح لهذه الأرض، ولا راحة لهذه البشرية، ولا طمأنينة لهذا الإنسان، ولا رفعة، ولا بركة، ولا طهارة، ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة إلاّ بالرجوع إلى الله، والرجوع إلى الله -كما يتجلى في ظلال القرآن- له صورة واحدة، وطريق واحد... واحد لا سواه... إنه العودة بالحياة كلها إلى هذا الكتاب).

لقد كان وهو يستجيب لأمر المرشد بالإشراف على التنظيم ممن قال الله فيهم:

(الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) (آل عمران: ١٧٢)

وبقي التحقيق والتعذيب مستمراً عاماً كاملاً من آب سنة (١٩٦٥م) حتى آب سنة (١٩٦٦م)، وإن كان القضاة سلفاً قد ارتشفوا دمه، وقد كان الجلادون حريصين ألاّ يموت سيد قطب ليبقى معذباً، فكانوا يربطونه بالكرسي ويقولون: (نحن نعلم أنك إذا عذبت ستموت، ونحن لا نريد أن تموت فتستريح).

ولقد بدأ الأستاذ سيد عملاقاً إبّان التحقيق والمحاكمات، فكثيراً ما كان يسخر من الضباط الخائنين الذين انقلبوا بين عشية وضحاها قضاة يحكمون في الدماء والأعراض.. كالدجوي الذي ترأس المحكمة، وقد كان ممن وقع في الأسر سنة (١٩٥٦م)، وقد كان يهاجم مصر من خلال اذاعة إسرائيل، وقد كان سيد بأسلوبه اللاذع الساخر يقابل الذئاب البشرية التي تمسك بخناق المسلمين، وتتربع على عرش مصر، وتحكم بالحديد والنار، وتجتث بما في أيديها من وسائل بقايا الخلق والقيم من المجتمع، وتحارب بأقلامها وأجهزتها كل فضيلة آدمية، أو مبدأ رباني، أو أرضي.

واستطاع سيد بصبره وترفعه وبصيرته أن يبين سخافة هؤلاء الأمساخ، والتف حوله الفئة المؤمنة التي استطاعت بطاعتها واحترامها له أن تقتل الجلادين غما وحقداً وغيظاً، قال أحد المحققين للحاجة زينب الغزالي -حفظها الله-: (إن سيد قطب كذب عليك وقال عنك..) فقالت: حاشا لله أن يكذب سيد.

وقالوا لشاب مؤمن: هل اتصلت بسيد قطب؟ فأنكر وأصر على إنكاره رغم التعذيب، فقالوا له: ولكن سيد قطب يقول: إنك قد اتصلت به، فقال الشاب: إن كان قالها فقد صدق!! وهي نفس الكلمة التي قالها الصديق أبوبكر بصدد الإسراء والمعراج.

ولقد اهتز كيان الطاغوت عند رؤية هذه الفئات، وصعقوا إذ أنهم ظنوا أن قد قضي على الإسلام والجماعة المسلمة، وإذا بهم يفاجؤون بنماذج أنقى، وبفئات أصلب عوداً وأشد في دين الله مما رأوا من ذي قبل، وهم في هذه المرة من الشباب المتعلم المثقف، بل معظمهم من الكليات العلمية والعملية كالطب والهندسة والعلوم والذرة، ولهول الصدمة كانت ضرباتهم جنونية، ولقد استشهد تحت التعذيب مائتان وثمانون شابا من هذه النماذج، وكانت النازلة شديدة الوقع على الطاغوت، وكاد يُجَن حقاً، وبدأ يصرخ في وجوه المخابرات صرخات محمومه جنونية (إزاي يسرقوا مني جبل الثورة، قباني -بائع قطن وهو الشهيد عبدالفتاح إسماعيل-، وامرأة -يعني زينب الغزالي-، واضطرب كيانه، وساءت صحته، وخارت قواه العقلية والعصبية، مما اضطره أن يذهب إلى روسيا حيث الحمّامات الساخنة والجلسات الكهربائية، وبعد أن أمسك بأنفاسه في روسيا أعلن من فوق قبر لينين: (لقد اكتشفنا مؤامرة للإخوان المسلمين، ولئن عفونا المرة الأولى، فلن نعفو المرة الثانية)، وأعطيت الأوامر الشديدة فكان التعذيب الرهيب الذي استمر قرابة عام أثناء التحقيق، وهنالك علاوات الإجرام، ويحضرني قصة كتبها أحمد رائف في البوابة السوداء يقول فيها: (مات أحدنا لشدة التعذيب في الزنزانة، وعندما فتح السجان باب الزنزانة صباحاً قلنا: يا أفندم مات واحد، فقال السجان: (يا أولاد الكلب بس واحد مات، حانودي

وشنا فين من المسؤول).

تقول الحاجة زينب الغزالي: لقد ضربوني ستة آلاف وخمسمائة سوط، وكانت غرف التعذيب ثلاثين غرفة، تختلف أدوات التعذ في كل واحدة عن الأخرى، وكان لا بد أن يصدر حكم الإعدام على الأستاذ سيد وعلى تلميذه محمد يوسف هواش وعلى الش عبدالفتاح إسماعيل، قال سيد عند صدور الحكم: (الحمد لله، لقد جاهدت مدة خمسة عشر عاماً حتى نلت هذه الشهادة)، وقال الش عبد الفتاح: (فزت ورب الكعبة).

ولقد ملك كل واحد منهما بصبره العجيب القلوب، حتى قلوب جلاديه، فلقد كان ضباط الحربي يقولون للشيخ عبد الفتاح: و إن هذه البلد لا تستحقك، فأنت درة ضائعة في مصر.

جاءت الأرحام من آل قطب لزيارة سيد بعد صدور حكم الإعدام، فطوقهم بذراعيه وقال: (لقد دعوت الله عز وجل أن ينفذ الحـ لتكون الشهادة، دعوت الله أن يجعل هذه العائلة كلها شهداء، هل قبلتم؟ قالوا: قبلنا، ونفذ حكم الإعدام في سحر ليلة الإثنين (٢٩) (١٩٦٦م)، وفاضت هذه الروح الكبيرة إلى بارئها بعد أن أدت دورها، وقد تبدو هذه النتيجة في حساب الأرض أسيفة أليمة، و يعدها البشر هزيمة مريرة، لكن كما يقول هو في فصل (هذا هو الطريق) وهو يتحدث عن أصحاب الأخدود ص(٢٣٥) من معالم ا الطريق: (إن النصر في أرفع صوره هو انتصار الروح على المادة، وانتصار العقيدة على الألم، وانتصار الإيمان على الفتنة... و هذا الحادث انتصرت الفئة المؤمنة انتصاراً يشرف الجنس البشري كله.. إن الناس جميعاً يموتون، وتختلف الأسباب، ولكن النا جميعاً لا ينتصرون هذا الانتصار، ولا يرتفعون هذا الارتفاع، ولا يتحررون هذه التحرر، ولا ينطلقون هذا الانطلاق إلى هذه الآفا إنما هو اختيار الله وتكريمه لفئة كريمة من عباده، لتشارك الناس في الموت، وتنفرد دون الناس في المجد في الملأ الأعلى، وفي د الناس أيضاً، إذا نحن وضعنا في الحساب نظرة الأجيال بعد الأجيال، لقد كان في استطاعة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم في مقا الهزيمة لإيمانهم، ولكن كم كانوا يخسرون هم أنفسهم؟ وكم كانت البشرية كلها تخسر؟ كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعـ الكبير؟ معنى زهادة الحياة بلا عقيدة، وبشاعتها بلا حرية، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم عا الأجساد).

ولقد صدق الله فصدقه، إذ كان يتمنى الشهادة صادقاً -والله أعلم- فرزقه الله إياها: تقرأ له مقالاً كتبه سنة (١٩٥٢م) في كتا دراسات إسلامية ص (١٣٨)، فكأنك تلمح من خلاله أنه يخط بالهام من الله نهايته إذ يقول: (إنه ليست كل كلمة تبلغ إلى قلو الآخرين فتحركها، وتجمعها، وتدفعها، إنها الكلمات التي تقطر دماء لأنها تقتات قلب إنسان حي. كل كلمة عاشت قد اقتاتت قل انسان، أما الكلمات التي ولدت في الأفواه، وقذفت بها الألسنة، ولم تتصل بذلك النبع الإلهي الحي، فقد ولدت ميته، ولم تدفع بالبشر شبرا واحداً إلى الإمام، إن أحداً لن يتبناها لأنها ولدت ميته، والناس لا يتبنون الأموات، ويكتب عند آية:

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التور والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (التوبة: ١١١)

(إن الدخول في الإسلام صفقة بين متبايعين.. الله سبحانه هو المشتري، والمؤمن فيها هو البائع، فهي بيعة مع الله لا يبقى بعد للمؤمن من شيء في نفسه ولا في ماله يحتجزه دون الله -سبحانه- ودون الجهاد في سبيله، لتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدي كله لله...

إن الجهاد في سبيل الله بيعة معقودة بعنق كل مؤمن... كل مؤمن على الإطلاق منذ كانت الرسل، ومنذ كان دين الله.. إنها السـ الجارية التي لا تستقيم الحياة بدونها، ولا تصلح الحياة بتركها، بعونك اللهم فإن العقد رهيب.. وهؤلاء الذين يزعمون أنفسهم (مسلمين) في مشارق الأرض ومغاربها، قاعدون، لا يجاهدون لتقرير ألوهية الله في الأرض، وطرد الطواغيت الغاصبة لحقوق الربوبي وخصائصها في حياة العباد، ولا يقتلون ولا يُقتلون، ولا يجاهدون جهاداً ما دون القتل والقتال)[1].

١- في ظلال القرآن (١٧١٦/١١) -ط/الشروق-.

(رد شـــبهة)

سيد قطب والقول بوحدة الوجود

اطلعت في مجلة المجتمع العدد (٥٢٠) المؤرخ (١١) جمادي الأولى سنة (١٤٠١هـ) على مقابلة مع الشيخ الألباني يقول فيها: (إن قول سيد قطب في تفسير سورة الإخلاص وأول سورة الحديد هو عين القائلين بوحدة الوجود.. (كل ما تراه بعينك فهو الله، وهذه المخلوقات التي يسميها أهل الظاهر مخلوقات ليست شيئاً غير الله..) وعلى هذا تأتي بعض الروايات التي تفصل هذه الضلالات الكبرى بما يرى من بعض الصوفيين القدماء من كان يقول (سبحاني ما أعظم شاني)، والآخر الذي يقول (ما في الجبة إلا الله)... هذا الكلام كله في هذين الموطنين من التفسير)[1].

ولقد هزني من أعماقي أن تنشر المجتمع على صفحاتها هذا الكلام لقرائها في العالم، والمجتمع بالهيئة المشرفة عليها تدرك أن قراءها هم تلاميذ الأستاذ سيد قطب.

ولقد حز في النفوس أن ينسب هذا الكلام (القول بوحدة الوجود) إلى الأستاذ سيد الذي جلى حقيقة التوحيد من كل غبش، بل ركز معظم كتاباته على شرح معنى (لا إله الا الله)، ونقل المعنى النظري للتوحيد إلى واقع حي متمثل في سلوك وحركات، ودماء وتضحيات، ولقد كانت حياته المليئة بصنوف الإعتزاز بالله، والتوكل عليه، والالتجاء إليه، خير شاهد على أن توحيد الربوبية (التوحيد العملي والنظري في القلب والنفس) (توحيد المعرفة والإثبات) قد جمع معه توحيد الألوهية (التوحيد العملي بالفعل) في واقع الحياة مشاعر وشعائر وكلمات ومواقف، حتى غدا المؤمن بهذا التوحيد كالشم الرواسي لا يزعزعه قوى الأرض، ولا يهزه جبروت الطغيان.

وحسبك منه تلك الكلمات التي كانت تنبثق من أعماقه معبرة عن استقرار التوحيد في طياته، تسمعه وهم يعرضون عليه الوزارة وهو رهين القيود يقول: (إن إصبع السبابة التي تشهد لله بالوحدانية في الصلاة لترفض أن تكتب حرفاً تقر به حكم طاغية).

وتصغي إليه وهم يحاولونه أن يسترحم فيقول:(لماذا أسترحم؟ إن كنت محكوماً بحق فأنا أرتضي حكم الحق، وإن كنت محكوماً بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل).

ولقد حدثت شقيقته حميدة أمامي فقالت: يوم الأحد (٢٨) اغسطس (١٩٦٦م) جاء قرار الإعدام موقعاً من رئيس الجمهورية -عبدالناصر- ولكنهم كما يبدو أوعزوا إلى مدير السجن الحربي حمزة البسيوني أن يحاوله الاعتذار حتى آخر لحظة.

قالت حميدة: دعاني حمزة البسيوني وأطلعني على مصادقة عبد الناصر على قرار الإعدام، فارتعشت أوصالي، لأني كنت أحب سيدا حبا يملك علي نفسي، ثم قال حمزة: أمامنا فرصة أخيرة لإنقاذ هذا العلامة، لأن إعدامه خسارة كبرى للعالم الإسلامي، فإذا اعتذر فإننا نخفف حكم الإعدام إلى السجن، ثم يخرج بعفو صحي بعد ستة أشهر، فبادري إليه لعله يعتذر.

قالت حميدة: فدخلت عليه وقلت له: إنهم يقولون: إن حكم الإعدام سيوقف فيما إذا اعتذرت.

قال سيد: (عن أي شيء أعتذر؟! عن العمل مع الله؟ والله لو عملت مع غير الله لاعتذرت، ولكنني لن أعتذر عن العمل مع الله، ثم قال: اطمئني يا حميدة، ان كان العمر قد انتهى سينفذ حكم الإعدام، وإن لم يكن العمر قد انتهى فلن ينفذ حكم الإعدام، ولن يغني الاعتذار شيئاً في تقديم الأجل أو تأخيره).

يا لله! حبل المشنقة يلوح أمام ناظريه، ولا تهتز أوصاله، ولا يضطرب موقفه، ولا يتراجع عن كلمته. إنها القمة السامقة التي أحله فيها التوحيد، إنها الطمأنينة التي سكبها الإيمان بالله في أعماقه، وهو كما يقول في مقدمة (في ظلال القرآن) ص(١٣) دار الشروق: ومن ثم عشت في ظلال القرآن هادئ النفس، مطمئن السريرة، قرير الضمير، عشت أرى يد الله في كل حادث، وفي كل أمر، عشت في كنف الله وفي رعايته، عشت أستشعر إيجابية صفاته تعالى وفاعليتها..) (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء).

(أي طمأنينة ينشئها هذا التصور؟ وأي سكينة يفيضها على القلب؟ وأي ثقة في الحق والخير والصلاح؟ أو أي استعلاء على الواقع الصغير يسكبها في الضمير[2]؟).

والكلام في هذا الموضوع يطول، وليس هذا مكان الاسترسال في بيان أثر التوحيد في حياة هذا العملاق الكبير. وما تركته

١- انتهى كلام الشيخ الألباني.

٢- ص(١٤) مقدمة الظلال

كتابات عن التوحيد من أثر في نفوس الجيل العائد إلى الله، في جميع أنحاء الأرض.

ليس بدعاً من القول أن نشير إلى أن سيد قطب أكثر مَنْ أثر في الأجيال بعد النصف الثاني من القرن العشرين، ولا نعر إنساناً ترك بصماته واضحة عميقة في نفوس الشباب أكثر منه، ولا أظنني مغالياً إن قلت ما من مجموعة مسلمة أثرت في مجتمعا إلا وكان لسيد قطب أثر في نفوسها قليلاً كان التأثير أم عميقاً.

إن محاولة النيل من سيد قطب عبث، وإن النزول معه في معركة سذاجة تبوء على صاحبها بالخيبة والخسران بعد أن ، الرجل كلمته، وحمى كلماته بدمه، وسار إلى ربه رافع الرأس، قرير العين، شامخ الأنف، عزيزاً، أنا لا أنكر أن بعض محاولات الذ منبعثة من قلوب مخلصة، ومحبة لإظهار الحق، لأن الحق لا يعلو عليه أحد، وإنما يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال.

نحن لا ننزه سيداً من الخطأ، وحاشا لله أن ندعي له العصمة، إذ ما من إنسان إلا ويؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا الة ﷺ، كما كان يردد إمام المدينة وعالمها مالك.

ونحن قد نجد في الظلال وغيره بعض الألفاظ التي قد تحتاج إلى دقة أكثر لتتفق مع المصطلحات الشرعية في العقر الإسلامية، وهذا لا بد أن يكون مادام بشراً يخطئ ويصيب.

أما: أن يصل بنا الأمر أن ننسب إليه تلك العقيدة الفاسدة الضالة وهي: القول بوحدة الوجود.

هذه القولة التي تكاد تخر لها الجبال هداً، سبحانك يا رب هذا بهتان عظيم، إن وحدة الوجود تعني أن الخالق والمخلوق شه واحد، وأن الأثر هو المؤثر، وأن الصانع قد ظهر في المصنوع لا انفصال ولا تباين.

إن وحدة الوجود تعني أن الحجر هو الله، وأن الصحن هو الله، وأن الحيوانات هي الله، فلم يعد هناك فرق بين من عبد الح والصنم والشمس وبين من يعبد الله، لأنها كلها صور لشيء واحد هو الذات الإلهية (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً)، هل يص عاقل أن سيد قطب كان يعتقد أن عبدالناصر هو الله، وأن حمزة البسيوني وشرطته هم صور الله، وأن صفوت الروبي الجلاد هو ا وأن لا فرق بين من يعبد ابن غوريون ودايان، وبين من يعبدالرحمن، هل يصدق ذو لب أن سيد قطب كان يعتقد أن السجن الحربي الله، أو يدخل في عقل عاقل أن سيد قطب كان يظن أن الشجر والحجر والقرد والخنزير والكلب صور لله عز وجل -سبحانك يا ر إنها لإحدى الكبر-.

والآن لا بد أن نقف على بعض الأقوال لمن قالوا بوحدة الوجود، وقبل أن أدخل معك لأطلعك على أقوالهم، أحب أن أبين أن سـ قطب قد هاجم القول بوحدة الوجود بالنص.

يقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى:

(وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون، بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يق له كن فيكون) (البقرة: ١١٧).

يقول في تفسيرها ص(١٠٦) ج(١) دار الشروق: (والنظرية الإسلامية أن الخلق غير الخالق، وأن الخالق ليس كمثله شي ومن هنا تنتفي من التصور الإسلامي فكرة: وحدة الوجود -على ما يفهمه غير المسلم من هذا الاصطلاح- أي بمعنى أن الوج وخالقه وحدة واحدة أو أن الوجود إشعاع ذاتي للخالق، أو أن الوجود هو الصورة المرئية لموجده، أو على أي نحو من أنحاء التص على هذا الأساس.

والوجود وحدة في نظر المسلم على معنى آخر (وحدة صدوره عن الإرادة الواحدة الخالقة، ووحدة ناموسه الذي يسير به.. والآن لنرجع إلى أقوال الذي قالوا بوحدة الوجود، هؤلاء قوم كانوا يرون أن المصنوعات كلها صور للصانع حتى بلغ الأمر ببعضهم لا يبصق على الارض ولا يستنجي بالحجارة، لأنها في نظره صور لله عز وجل تعالى عما يقولون علواً كبيراً[١].

يقول أبو يزيد البسطامي سنة (٢٦١هـ): (خرجت من الله إلى الله، حتى صاح مني فيَّ يا من أنا أنت) (سبحاني ما أع شاني)[٢].

وتحدث البسطامي عن حوار بينه وبين الله تعالى فقال: ورفعني فأقامني بين يديه، وقال لي: يا أبا يزيد: إن خلقي يحبون

١- أنظر قاسم غني ص(٥٦) تاريخ التصوف في الإسلام. ٢- أنظر كتاب الركيل: هذه هي الصوفية ص(٦٤) عن تذكرة الأولياء ص(١٦٠).

بروك. فقلت: ربني بوحدانيتك، وألبسني أنانيتك، وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك لتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هناك)[1].

وقال الحسين بن منصور الحلاج سنة (٣٠٩ هـ):

مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسك شيء مسني فإذا أنت أنا في كل حال[2]

وقال الحلاج[3]:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

هذا كلام البسطامي والحلاج في وحدة الوجود، والقول ظاهر لا مجال فيه لتأويل متأول، ولا لتفسير مفسر، أن الخالق هو المخلوق، ولم يعد هنالك انفصال ولا تمايز و لا تباين، بل الصور هي الله، والأشياء هي الله. فعبادة الأشياء هي عبادة لله.

أين هذا الكلام من عقيدة سيد قطب التي يصرح فيها مئات المرات في ظلال القرآن بالفرق بين الخالق والمخلوق، والتباين بين مقام الألوهية ومقام العبودية، والآن تعال معي نقتبس بعض عباراته.

يقول في خصائص التصور الإسلامي[4]: (يقوم التصور الإسلامي على أساس أن هناك ألوهية وعبودية... ألوهية يتفرد بها الله سبحانه، وعبودية يشترك فيها كل من عداه وكل مـا عـداه..

وكما يتفرد الله -سبحانه- بالألوهية، كذلك يتفرد تبعاً لهذا بكل خصائص الألوهية، وكما يشترك كل حي وكل شيء بعد ذلك في العبودية، كذلك يتجرد كل حي وكل شيء من خصائص الألوهية.. فهناك إذن وجودان متميزان: وجود الله، ووجود ما عداه من عبيد الله، والعلاقة بين الوجودين هي علاقة الخالق بالمخلوق والإله بالعبيد).

أرأيت إذن: إن عبارة نصه تقول: فهناك إذن وجودان متميزان، وجود الله، ووجود ما عداه من عبيد الله، والعلاقة بين الوجودين هي علاقة الخالق بالمخلوق والإله بالعبد.

هل بقي قول لقائل أن يدعي بأن سيد قطب يخلط بين الله وبين عبيده، وأن الله قد تجلى في صور مخلوقاته، وأن الخالق والمخلوق شيء واحد لا فرق بينهما ولا تمايز.

ويقول سيد -رحمة الله عليه- في تفسير آية الإسراء: **(سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى)**[5].

(وتذكر صفة العبودية (أسرى بعبده) لتقريرها وتوكيدها في مقام الإسراء والعروج إلى الدرجات التي لم يبلغها بشر – وذلك كي لا ننسى هذه الصفة ، ولا يلتبس مقام العبودية، بمقام الألوهية كما التبسا في العقائد المسيحية بعد عيسى عليه السلام، بسبب ملابس مولده ووفاته ، وبسبب الآيات التي أعطيت له فاتخذها بعضهم سبباً للخلط بين مقام العبودية ومقام الألوهية.. وبذلك تبقى للعقيدة الاسلامية بساطتها ونصاعتها وتنزيهها للذات الإلهية عن كل شبهة من شرك أو مشابهة، من قريب أو من بعيد) ويقول رحمه الله عند آية: **(لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً، ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً)** (النساء: ١٧٢).

لقد عني الإسلام عناية بالغة بتقرير حقيقة وحدانية الله سبحانه، وحدانية لا تتلبس بشبهة شرك أو مشابهة في صورة من الصور، وعني بتقرير أن الله سبحانه ليس كمثله شيء، فلا يشترك معه شيء في ماهية ولا صفة ولا خاصية.

كما عني بتقرير حقيقة الصلة بين الله سبحانه وكل شيء (بما في ذلك كل حي)، وهي أنه صلة ألوهية وعبودية، ألوهية الله

١- هذه هي الصوفية للوكيل ص(١١٢) نقلاً عن اللمع للسطوسي ص(٣٨٣).
٢- هذه هي الصوفية للوكيل ص(٤٩) نقلاً عن الطوسين للحلاج ص(١٣٠-١٣٢).
٣- الصلة بين التصوف والتشيع (كامل الشيبي) ص(٥٨).
٤- خصائص التصور ص(٣٠٨) ط(١)/الإتحاد الإسلامي العالمي
٥- أنظر في ظلال القرآن ط/دار الشروق (٢٢١١).

وعبودية كل شيء.. والمتتبع للقرآن كله يجد العناية فيه بالغة بتقرير هذه الحقائق -أو هذه الحقيقة الواحدة بجوانبها هذه- بحيث تدع في النفس ظلاً من شك أو شبهة أو غموض.

ولقد عني الإسلام كذلك بأن يقرر أن هذه هي الحقيقة التي جاء بها الرسل أجمعون. تقررها في سيرة كل رسول، وفي د كل رسول، وجعلها محور الرسالة من عهد نوح عليه السلام إلى عهد محمد خاتم النبيين -عليه الصلاة والسلام- تتكرر الدعوة على لسان كل رسول: (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره).

وكان من العجيب أن اتباع الديانات السماوية -وهي حاسمة وصارمة في تقرير هذه الحقيقة- يكون منهم من يحرف الحقيقة وينسب لله -سبحانه- البنين والبنات، أو ينسب لله سبحانه. الامتزاج مع أحد من خلقه في صور الأقانيم، اقتباساً الوثنيات التي عاشت في الجاهليات!

ألوهية وعبودية... ولا شيء غير هذه الحقيقة، ولا قاعدة إلا هذه القاعده، ولا صلة إلا صلة الألوهية بالعبودية، وصلة العبو بالألوهية، ولا تستقيم تصورات الناس -كما لا تستقيم حياتهم- إلا بتمحيص هذه الحقيقة من كل غبش، ومن كل شبهة، ومن كل :

أجل لا تستقيم تصورات الناس ولا تستقر مشاعرهم إلا حين يستيقنون حقيقة الصلة بينهم وبين ربهم.

هو إله لهم وهم عبيده، هو خالق لهم وهم مخاليق.. هو مالك لهم وهم مماليك.. وهم كلهم سواء في هذه الصلة لا بنوة لا، ولا امتزاج بأحد.. ومن ثم لا قربى لأحد إلا بشيء يملكه كل أحد ويوجه إرادته إليه فيبلغه (التقوى والعمل الصالح).. وهذا مستطاع كل أحد أن يحاوله. فأما البنوة وأما الامتزاج ما لي بهما لكل أحد؟!

إن المسيح عيسى بن مريم لن يتعالى عن أن يكون عبدا لله، لأنه -عليه السلام- وهو نبي الله ورسوله خير من يعرف حق الألوهية وحقيقة العبوديه، وأنهما ماهيتان مختلفتان لا تمتزجان. وهو خير من يعرف أنه من خلق الله ، فلا يكون خلق الله كالله بعضاً من الله[1].

والآن دعنا نرجع إلى بعض أقوال القائلين بوحدة الوجود، الذين خرجوا من دين الله بأقوالهم هذه. إذ أن عباراتهم واضح جلية في الكفر الصراح البواح، وبمنطوقهم الصريح لا لبس فيه أنهم يعتبرون الخلق هم عين الخالق، والأشياء هي حقيقة الله ، تعا الله عما يقولون علواً كبيراً.

يقول ابن الفارض سنة (٦٣٢) في قصيدته التائية وهو يصف الله ويتكلم عنه كأنه يتكلم عن معشوقته ويتغزل بحبيبته.

لها صلواتي بالمقـــــام أقيمـــــها   *وأشهد فيها أنها لـي صـلـت*

كلانا مصل واحد ساجـــــد إلى   *حقيقته بالجمع فـي كل سـجدة*

وما كان لي صلى سواي ولـم تكن   *صلاتي لغيـري في أدا كل ركعة*

إنه ينطق بعبارة صريحة أنه يصلي لله والله يصلي له، فكلاهما مصل واحد وساجد واحد، فابن الفارض صلى لنفسه، ولم ت صلاته لغيره، فهو وربه حقيقة واحدة، وشيء واحد، تعالى الله عما يقول الفارض.

ويقول ابن عربي (٦٣٨ هـ): (فوجودنا وجوده، ونحن مفتقرون إليه من حيث وجودنا، وهو مفتقر إلينا من حيث ظهوره لنفسه من يحمدني وأحمده ويعبدني واعبده[2].

ويقول[3]:

العبد رب والرب عبد   *يا ليت شعري من المكلف*

ويقول[4].

لا تـراقب فليس في الكون إلا   *واحد لعين فهو عين الوجود*

ويسمى فـي حالـــة بالـــه   *ويسمى في حالة بالعبـــد*

١- أنظر تفسير الآية (لن يستنكف المسيح...) (النساء: ١٧٢) في طبعة دار الشروق (في ظلال القرآن) المجلد (٦) ص (٨١٨-٨٢٠)

٢- هذه هي الصوفية للوكيل ص(١٣) نقلاً عن فصوص الحكم لابن عربي (٨٣/١)

٣- هذه هي الصوفية للوكيل ص(١٧٤) نقلاً عن الفتوحات المكية لابن عربي الباب (١٢٩)   ٤- مدارج السالكين (٦٠/١)

وأما جلال الدين الرومي سنة (٦٧٢) فهو يقول[١]: (يا من تبحثون عن الله. إنما أنتم الله. ليس الله خارجاً عنكم، هو أنتم أنتم، اعتكفوا في الدار، ولا تدوروا هنا وهناك لأنكم أنتم الدار، وأنتم رب الدار، أنتم الذات وأنتم الصفات، فالذي لم يلد ولم يولد هو منكم أنتم الأطهار والقيومون المنزهون البعيدون عن التغيير).

ويقول صدر الدين القونوي سنة (٦٧٣): (فالإنسان هو الحق، وهو الذات، وهو الصفات، وهو العرش، وهو الكرسي... وهو الوجود وما حواه... وهو الحق، وهو الخلق، وهو القديم وهو الحادث)[٢].

هذه عبارات القائلين بوحدة الوجود، هي واضحة صريحة بمنطوقها ونصها أن الخالق هو المخلوق. وأن الإنسان هو الله. سبحان الله عما يشركون-.

أهذه العبارات تشبه عبارة سيد قطب التي حملوها فوق ما تحتمل، وفسروها تفسيراً يفضي إلى الكفر كما يقول الألباني:(نحن لا نحابي في دين الله أحداً... نقول هذا الكلام كفر).

يقول الأستاذ سيد في تفسير آية الحديد: **(هو الأول والآخر والظاهر والباطن)** هذا الوجود الإلهي هو الوجود الحقيقي الذي يستمد منه كل شيء وجوده، وهذه هي الحقيقة الأولى التي يستمد منها كل شيء حقيقته، وليس وراءها حقيقة ذاتية ولا وجود ذاتي لشيء في هذا الوجود.

إذن فهما وجودان: وجود الله، ووجود الأشياء الذي استمد وجوده من الله، وهما حقيقتان: حقيقة الله، وحقيقة الأشياء.

وهما وجودان متمايزان كما يقول في خصائص التصور[٣]: (ووجود ماعداه من عبيد الله والعلاقة بين الوجودين هي علاقة الخالق بالمخلوق والإله بالعبيد).

وما كان لكاتب المعالم والظلال، وخصائص التصور ومقوماته إلا أن تكون عقيدته صافية بهذا الشكل. فهو يقول في تفسير آية:

(يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق...) (النساء: ١٧١)

(والله سبحانه تعالى عن الشركة، وتعالى عن المشابهة، ومقتضى كونه خالقاً يستتبع -بذاته- أن يكون غير الخلق. وما يملك ادراك أن يتصور إلا هذا التغاير بين الخالق والمخلوق، والمالك والملك)[٤].

أرأيت هذه العبارة الأخيرة لعملاق الفكر الإسلامي: (وما يملك إدراك أن يتصور إلا هذا التغاير بين الخالق والمخلوق).

أي: لا يمكن لعاقل في رأسه ذرة من تفكير أو بقية من لب أن يتصور أن الشيء وخالقة واحد. ولا يمكن الإنسان سوى أن يمر بذهنه أو قلبه لحظة أن الحجر والشجر هو ذات الله -عز وجل-، بل لقد كان المشركون الذي يعبدون الأصنام يقولون: **(ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)**.

وكانوا يقولون: (لبيك اللهم لبيك لاشريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك).

ثم يقول الأستاذ رحمه الله في سورة الحديد: (ولقد أخذ المتصوفة بهذه الحقيقة الأساسية الكبرى، وهاموا بها وفيها، وسلكوا إليها مسالك شتى، بعضهم قال: أنه يرى الله في كل شيء في الوجود، وبعضهم قال: أنه رأى الله من وراء كل شيء في الوجود، وبعضهم قال : انه رأى الله فلم ير شيئاً غيره في الوجود، وكلها أقوال تشير إلى الحقيقة إذا تجاوزنا عن ظاهر الألفاظ القاصرة في هذا المجال[٥].

إن ذكر كلمة المتصوفة في هذا المجال هو الذي جعل المنتقدين بهذه العبارات ينتفضون، والمتصوفة يقولون بوحدة الوجود، اذا فسيد قطب يقول بوحدة الوجود!!.

هذه عبارات أدبية خرجت مع قلم سيد قطب السيال بهذا النص، هو يريد أن يوضح القضية الكبرى التي تجعل الإنسان يعبر عن مسيرة الحياة بالمبادئ الربانية والشريعة الإلهية. هذه القضية أن الله عز وجل هو الفعال لما يريد، وكل فعل ممن عداه لا يستحق أن ينظر إليه، لانه صغيرة حقير، وهو بجانب قدرة الله وفعله لا يساوي شيئاً، بل كأنه غير موجود.

---

١ قاسم غني ص(١٥٣). ٢- هذه هي الصوفية للوكيل. ٣- خصائص التصور الإسلامي ص(٣٠٨) ط/ الإتحاد الإسلامي العالمي.

٤ في ظلال القرآن ص(٨١٦) المجلد (٢). ٥- سورة الحديد في ظلال القرآن (٦/ ٣٤٨٠) ط/الشروق.

وكما يقول في مقدمة (في ظلال القرآن): (ومن ثم عشت في ظلال القرآن، هادئ النفس، مطمئن السريرة، قرير الضم عشت أرى يد الله في كل حادث وفي كل أمر)[1].

ويقول في تفسير (**قل هو الله أحد**): (ومتى استقر هذا التصور الذي لا يرى في الوجود إلا حقيقة الله نستصحبه رؤية الحقيقة في كل وجود آخر انبثق عنها، وهذه درجة يرى فيها القلب يد الله في كل شيء يراه، ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئ الكون إلا الله، لأنه لا حقيقة هناك يراها الا حقيقة الله)[2].

العبارات أدبية بأسلوب رائع رصين، وفيها خفاء في المعنى وبعض الإبهام، وهي تتضمن في ذاتها (الفرق بين الد والمخلوق)، فهو يقول: مستصحبة رؤية هذه الحقيقة في كل وجود آخر انبثق عنها إذن فهما وجودان: وجود الله، ووجود كل شيء أ انبثق من إرادة الله.

هذه واحدة، والشيء الآخر أن المسألة والقضية هي: مجرد مشاعر ورؤية قلبية، فالعبارات تقول: وهذه درجة يرى فيها القلب الله في كل شيء يراه، وأما إذا أردنا الوقوف على ظاهر الألفاظ فهل يرى القلب يد الله؟[3].

ولابن القيم كلام قريب من هذا أن الأمر الذي يريد سيد قطب إقراره في القلب هو: إرجاع الأمر كله إلى الله (**قل إن الأمر لله**)، ويريد أن يوهن أمر الأسباب حتى لا يعلق بها القلب البشري، فهي صغيرة، ضئيلة لا قيمة لها ولا وزن بجانب الإرادة الف -ارادة الله – (**فعال لما يريد**)، فوجود هذه الأشياء والأسباب والقوى التي تستعلي في الأرض صغير صغير أمام الذي (**لا يع شيء في الأرض ولا في السماء**)، إن سيد رأى تخاذل الناس أمام قوى الطغيان التي تستعبد الناس في الأرض، فأراد أن يغرس النفوس أن هؤلاء بقواهم وعددهم لا ينظر إليهم إذا نظرنا إلى وجود الله وقوة الله فكأنهم غير موجود، لأن القلب المرتبط بالله ينظر القوة الحقيقية، ينظر إلى جبار السموات والأرض، إلى الذي يمسك السموات أن تزولا، فما هذا الغثاء، وما بال هذا الزبد ي وينتفش ويستعلي على عباد الله، وهو في حقيقته كأنه غير موجود.

ويصرح سيد بهذا المعنى الذي يريد إقراره في النفوس في تفسير سورة الإخلاص، (كذلك سيصحبه نفي فاعلية الأسباب، كل شيء وكل حدث، وكل حركة إلى السبب الأول الذي منه صدرت، وبه تأثرت.. وهذه هي الحقيقة التي عني القرآن عناية كم بتقريرها في التصور الإيماني، ومن ثم كان ينحي الأسباب الظاهرة دائماً، ويصل الأمور مباشرة بمشيئة الله (**وما رميت إذ رم ولكن الله رمى**)، (**وما النصر إلا من عندالله**) ، (**وما تشاءون إلا أن يشاء الله**)، هذه هي مدارج الطريق التي حاد لها المتصو فجذبتهم إلى بعيد[4].

وما أجمل لو أضاف سيد هنا وهو ينتقد الصوفية عبارة (فجذبتهم إلى بعيد بالقول بوحدة الوجود)، ثم يضيف عبارته ا أوردها في سورة البقرة في تفسير (**قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه**).

(والنظرية الإسلامية: أن الخلق غير الخالق، وأن الخالق ليس كمثله شيء... ومن هنا تنتفي من التصور فكرة وح الوجود....أي بمعنى أن الوجود وخالقه وحدة واحدة، أو أن الوجود إشعاع ذاتي للخالق، أو أن الوجود هو الصورة المرئية الموجده، على أي نحو من أنحاء التصور على هذا الأساس)[5].

وما أجملها من عبارة له -رحمه الله- يقول فيها: (وعقيدة أن لله -سبحانه- ولداً عقيدة ساذجة، منشؤها قصور في التص بعجز عن إدراك الفارق الهائل بين الطبيعة الإلهية الأزلية الباقية والطبيعة البشرية المخلوقة الفانية، والقصور كذلك عن إدراك حدّ السنة التي جرت بتوالد أبناء الفناء، وهي التكملة الطبيعة لما فيها من نقص وقصور لا يكونان لله)[6].

ويقول: (الحقيقة الاعتقادية التي تنشأ في النفس من تقرير حقيقة الوحدانية.. حقيقة أن الوهية الخالق تتبعها عبودية الخلائق

١- مقدمة الظلال ص(١٣). ٢- في ظلال القرآن (٦/٤٠٠٣) ط/دار الشروق.

٣- قال ابن القيم في مدارج السالكين (١/١٥٤): (الفناء: هذا الاسم يطلق على ثلاثة معان:

أ- الفناء عن وجود السوى (غير الله): فهذا فناء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود.

ب- الفناء عن شهود السوى: فهو الفناء الذي يشير إليه أكثر الصوفية المتأخرين وهو الذي بنى عليه أبو إسماعيل الأنصاري كتابه، وليس مرادهم فناء وجود ما سوى الله في الخارج فناؤه عن شهودهم وحسهم، فحقيقته: غيبة أحدهم عن سوى مشهوده (الله).

ج- الفناء عن إرادة السوى: وهو فناء خواص الأولياء وائمة المقربين، فيفنى بمراد محبوبه منه عن مراده هو من محبوبه.

٤- تفسير سورة الإخلاص، في ظلال القرآن (٦/٣٠٠٣).

٥- في ظلال القرآن مجلد (١/١٠٦) ط/دار الشروق. ٦- في ظلال القرآن مجلد (٣/١٨٠٥) ط/دار الشروق.

وأن هناك فقط ألوهية وعبودية، ألوهية واحدة وعبودية كل شيء، وكل أحد في هذا الوجود)[١].

هذه عبارة سيد قطب يهاجم فيها بالنص (القول بوحدة الوجود) ويصرح فيها باللفظ مئات المرات، أن مقام الإلوهية غير مقام العبودية (وأن الخالق غير الخلق... فهناك إذن وجودان متمايزان.. وجود الله ووجود ما عداه من عبيد الله).

فهل هذه تلتبس وتشبه عبارات القائلين بوحدة الوجود مثل ابن عربي ويسمى في حالة بالله ويسمى في حالة العبيد؟![٢].

أو تشبه عبارات سيد عبارة جلال الدين الرومي!! (يا من تبحثون عن الله، إنما أنتم الله، ليس الله خارجاً عنكم.. هو انتم أنتم)؟![٣]، أو هناك تماثل بين عبارات سيد الناصعة وبين قول فريد الدين العطار (اندمج أنت فيه فهذا هو الحلول.. فادخل الوحدة واجتنب الإثنية؟!)[٤]، أو هناك تقارب بين النصوص التي كتبها سيد وبين قول عبد الكريم الجيلي (إن الحق تعالى من حيث ذاته يقتضي إلا يظهر في شيء إلا ويعبد ذلك الشيء، وقد ظهر في ذرات الوجود؟!)[٥].كان الأولى والأورع في دين الله قبل أن تتهم سيد قطب بالقول بوحدة الوجود أن نقرأ له أولاً ثم بعد ذلك نقدم المنطوق الصريح له على المنطوق غير الصريح، ونقدم المفسر من قوله على القول المبهم له، ونقدم بالترجيح المنطوق على المفهوم، ونقدم عبارة النص على إشارة النص هذه من القواعد الأساسية في علم الأصول للخروج بأحكام (فإذا تعارضت النصوص لا بد من الجمع أولاً ثم النسخ ثم الترجيح فهل حاولنا أن نقرأ تفسير جزء واحد من ثلاثين جزءًا من ظلال القرآن حتى نحكم على الرجل؟! إن سيد قطب لم يقل: (إن كل ما تراه بعينك فهو الله)، وهذه المخلوقات التي يسميها أهل الظاهر مخلوقات ليست شيئاً غير الله.

إن سيداً يقول: (ومتى استقر هذا التصور الذي لا يرى في الوجود إلا حقيقة الله، فستصحبه رؤية هذه الحقيقة في كل وجود آخر انبثق عنها، وهذه درجة يرى القلب فيها يد الله في كل شيء يراه، ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئاً في الكون إلا الله. لأنه لا حقيقة هناك يراها إلا حقيقة الله).

إذن لم يقل -كما قال الشيخ الألباني- إن كل ما تراه بعينك فهو الله، بل قال: يرى القلب فيها يد الله في كل شيء، وشتان شتان بين رؤية القلب ورؤية العين.

وقال سيد: ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئاً في الكون إلا الله، وفاعل يرى في هذه الجملة الثانية: ضمير مستتر تقديره هو يعود على القلب في الجملة الأولى.

فعبارة الأستاذ سيد: تصور، رؤية القلب، إحساس داخلي، وإن الإمام ابن القيم لا يعتبر هذا ولا أكثر منه صراحة من قبيل القول بوحدة الوجود.

يقول ابن القيم في مدارج السالكين (١/١٥٢): (وفرق بين إسقاط الشيء عن درجة الوجود العلمي الشهودي، وإسقاطه عن رتبة الوجود الخارجي العيني، فشيخ الإسلام -يعني الهروي صاحب منازل السائرين- بل مشايخ القوم المتكلمين بلسان الفناء هذا مرادهم) هذه شهادة من إمام من أئمة السلف الذين يتذوقون أساليب البيان، وتذوقوا طعم الأنس بالله من خلال السير صعداً على مدارج السالكين، يقول ابن القيم: هذا الكلام السابق في تفسير عبارات الهروي صاحب المنازل، يقول الهروي صاحب منازل السائرين: (الفناء: هو اضمحلال ما دون الحق علماً، ثم جحداً، ثم حقاً، وهو على ثلاث درجات).

قال ابن القيم في تفسيرها: (الفناء اضمحلال ما دون الحق جحداً).

(لا يريد به أن يعدم من الوجود بالكلية، وإنما يريد اضمحلاله في العلم فيعلم أن ما دونه باطل وأن وجوده بين عدمين، وأنه ليس له من ذاته إلا العدم فعدمه بالذات، ووجوده بإيجاد الحق له، فيفني في علمه، كما كان فانياً في حال عدمه، فإذا فني في علمه ارتقى إلى درجة أخرى فوق ذلك، وهي جحد السوى وإنكاره، وهذه أبلغ من الأولى لأنها غيبته عن السوى فقد يغيب عنه وهو غير جاحد له، وهذه الثانية جحده وإنكاره.

ومن ههنا دخل الاتحادي وقال: المراد جحد السوى بالكلية، وإنه ما ثم غير بوجه ما.

وحاشا لشيخ الإسلام من إلحاد أهل الاتحاد، وإن كانت عبارته موهمة بل مفهمة ذلك، وإنما أراد بالجحد في الشهود لا في

١- في ظلال القرآن مجلد (٢/٨١٨) ط/دار الشروق. ٢- الفتوحات المكية لابن عربي الباب (١٢٩) ٣- قاسم غني في كتابة تاريخ التصوف في الإسلام ص (١٥٣).

٤- قاسم غني في كتابة تاريخ التصوف في الإسلام ص (١٧٥). ٥- كتاب هذه هي الصوفية لوكيل ص(٣٨) نقلاً عن الإنسان الكامل للجيلي (٢/٨٣)

الوجود، أي يجحده أن يكون مشهوداً فيجحد وجوده الشهودي العلمي، لا وجوده العيني الخارجي، فهو أولاً يغيب عن وجود الشهودي العلمي، ثم ينكر ثانياً وجوده في علمه وهو اضمحلاله جداً، ثم يرتقي من هذه الدرجة إلى درجة أخرى أبلغ منها وهو اضمحلاله في الحقيقة، وأنه لا وجود له البتة، وإنما وجوده قائم بوجود الحق، فلولا وجود الحق لم يكن هو موجوداً، ففي الحقيقة الموجود إنما هو الحق وحده، والكائنات من أثر وجوده، وهذا معنى قولهم (إنها لا وجود لها ولا أثر لها، وإنها معدومة وفانية ومضمحلة)[1].

أين عبارات سيد قطب من عبارات الهروي؟ كل الذي قاله سيد: عدم رؤية القلب للأشياء لأنه متعلق بالحق، بالوجود الحق، فهذه الأشياء والمخلوقات لا يعلق بها القلب، ولا يجعل لها لأنه مشغول بالله، فهي صغيرة حقيرة لا يراها القلب ولا يأبه لها فكأنها غير موجودة، فالقضية باختصار: إحساس قلبي، ومشاعر نفسية، ورؤية داخلية ببصيرته ببصره، أما عبارات الهروي: (اضمحلال ما دون الحق علماً، ثم جحداً، ثم حقاً) (فإذا فني في علمه ارتقى إلى درجة أخرى فوق ذلك وهي جحد السوى وإنكاره) أي إنكار ما سوى الله وجحده، والعبارة واضحة في وحدة الوجود.

ومع هذا فإن ابن القيم رحمه الله يقول: (وحاشا لشيخ الإسلام -الهروي- من إلحاد أهل الاتحاد، وإن كانت عبارته موهمة بل مفهمة ذلك، وإنما أراد بالجحود في الشهود لا في الوجود، أي يجحده أن يكون مشهوداً، فيجحد وجوده الشهودي العلمي، لا وجوده العيني الخارجي) ماذا نقول في سيد قطب لو قال بالدرجة الثالثة: (ثم يرتقي من هذه الدرجة إلى درجة أبلغ منها وهي: اضمحلاله في الحقيقة، وإنه لا وجود له البتة) هذه عبارة ابن القيم في تفسير عبارة الهروي (ثم اضمحلاله حقاً)، ويزيد ابن القيم في توضيح العبارة (وإنه لا وجود له البتة) (وإنما وجوده قائم بوجود الحق، فلولا وجود الحق لم يكن هو موجوداً، ففي الحقيقة: الموجود إنما هو الحق وحده، والكائنات من أثر وجوده، هذا معنى قولهم (إنها لا وجود لها ولا أثر لها، وإنها معدومه وفانية ومضمحلة)، هل سمعت عبارة ابن القيم؟ ففي الحقيقة: الموجود إنما هو الحق وحده والكائنات من أثر وجوده.

ولقد دافع ابن القيم عن عبارات وأبيات للهروي خطيرة جداً[2]

يقول الهروي[3]:

ما وحد الواحد من واحد	إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته	عارية أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده	ونعت من ينعته لاحد

قال ابن القيم: ومعنى أبياته (ما وحد الله -عز وجل- أحد توحيده الخاص، الذي تفنى فيه الرسوم ويضمحل فيه كل حادث ويتلاشى فيه كل مكون، فإنه لا يتصور منه التوحيد إلا ببقاء الرسم -وهو الموحد، وتوحيده القائم به- فإذا وحده شهد فعله الحادث ورسمه الحادث، وذلك جحود لحقيقة التوحيد، الذي تفنى فيه الرسوم، وتتلاشى فيه الأكوان).

ثم يقول ابن القيم: رحمة الله على أبي إسماعيل، فتح للزنادقة باب الكفر والإلحاد فدخلوا منه، وأقسموا بالله جهد أيمانهم: إنه لمنهم وما هو منهم، وغره سراب الفناء... وحاشا شيخ الإسلام من إلحاد أهل الاتحاد. هذا موقف إمام السلف -ابن القيم- من عبارات تكاد تكون صريحة في وحدة الوجود، فليتنا إذ لم نقف موقف ابن القيم وهو موقف الدفاع والتوضيح وإزالة الغبش والغموض أقول ليتنا وقفنا موقف المحايد من الأستاذ سيد قطب، لا الموقف الذي يحمل العبارات التي فيها شيء من الخفاء والإجمال على أسوأ تفسير وأخطر محمل لمنقول: (نحن لا نحابي في دين الله أحداً، هذا الكلام كفر)، ولو تركنا هذه المسألة دون إثارة ما فهم أحد من الناشئة أن هذا الكلام يشير الى وحدة الوجود.

لقد رأيت عبارات لابن تيمية قريبة من كلام سيد قطب يقول في دقائق التفسير[4](ومن المأثور عن أبي يزيد رحمه الله أنه قال: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق، وعن الشيخ أبي عبد الله القرشي أنه قال: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة السجين بالسجين، وهذا تقريب وإلا: فهو استغاثة العدم بالعدم).

هذا كلام ابن تيمية: استغاثة المخلوق بالمخلوق استغاثة العدم بالعدم، فالمستغيث عدم والمستغاث به عدم، إذا حملنا هذا الكلا

١- مدارج السالكين شرح منازل السائرين ج(١/١٤٨-١٥٠).

٢- مدارج السالكين لابن القيم (١٤٧/١).

٣- مدارج السالكين لابن القيم (١٤٧/١)

٤- دقائق التفسير لابن تيمية تحقيق محمد الجليند. دار الأنصار جـ (٣٠١/١).

صفحة مفقودة

صفحة مفقودة

{ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم} (الحشر: ١٠)

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين[١]

عبـــد اللـــــه عـــــزام

١٤٠١/٦/٤هـ

١٩٨١/٤/٧م

---

(١) ملاحظة: حذف موضوع (عشرون عاماً على الشهادة) وذلك لتكراره في كتاب (خضم المعركة) المجلد الرابع من الموسوعة.

ملاحظة: هذا الكتاب (عمالقة الفكر الإسلامي) لقد كان لاستشهاد سيد قطب أثر في إيقاظ العالم الإسلامي أكثر من حياته، ففي السنة التي استشهد فيها طبع "الظلال" سبع طبعات بينما لم تتم الطبعة الثانية أثناء حياته، ولقد صدق عندما قال: "إن كلماتنا ستبقى عرائس من الشموع حتى إذا متنا من أجلها انتفضت حية وعاشت بين الأحياء".

ولقد مضى سيد قطب إلى ربه رافع الرأس ناصع الجبين عالي الهامة وترك التراث الضخم من الفكر الإسلامي الذي تحيا به الأجيال، بعد أن وضح معان غابت عن الأذهان طويلاً، وضح معاني ومصطلحات الطاغوت، الجاهلية، الحاكمية، العبودية، الألوهية، ووضح بوقفته المشرفة معاني البراء والولاء، والتوحيد والتوكل على الله والخشية منه والالتجاء إليه.

والذين دخلوا أفغانستان يدركون الأثر العميق لأفكار سيد في الجهاد الإسلامي وفي الجيل كله فوق الأرض كلها، أن بعضهم لا يطلب منك لباساً وإن كان عارياً ولا طعاماً وإن كان جائعاً ولا سلاحاً وإن كان أعزل ولكنه يطلب منك كتب سيد قطب. (الناشر).